Al-Qawārīr- Vol: 01, Issue: 03, June-2020

OPEN ACCESS
Al-Qawārīr
pISSN: 2709-4561
eISSN: 2709-457X
journal.al-qawarir.com

نوال السعداوي و أفكارها النسوية؛دراسة تحليلية

An Analytical Study to Feminist Thoughts of Nawal El Saadawi

*Muhammad Junaid Anwar**
Research Associate, Seerat Chair Gender Studies & women Rights,
Institute of Islamic Studies, University of the Punjab, Lahore.

Version of Record
Received: 17-Aug-19 **Accepted**: 24-Oct-19
Online/Print: 14-Aug-20

ABSTRACT

Nawal El Saadawi (born October 27, 1930), a doctor, Egyptian critic, writer, novelist, and defender of human rights and women's rights in particular. She is the most famous of those who called for the liberation of women from their chains, and those who declared disobedience to what she called "the male Society." A woman did not dare to attack the fundamentals and values of Islam, just as Nawal Al-Saadawi did in her writings. Al-Saadawi used to repeat many slanders and lies about Islam and his position on women, until the matter exceeded the limit of lying to ridicule and mockery of the provisions and laws of Islam.This article examines Nawal Al-Sadawi's feminist thoughts.
Keywords: Nawal El Saadawi, women rights, Feminist Thoughts, Muslim world.

نوال السعداوي، اسم ترتبط به الحركة النسائية الحديثة. منذ الستينات وهي تناضل من أجل حقوق المرأة في مصر والعالم العربي، بكتاباتها ونشاطاتها. وقد دفعت ثمن نضالها هذا بأن سجنت في عهد الرئيس الأسبق أنور السادات. كما تعرضت للتهديد بالقتل من طرف إسلاميين متشددين بسبب مواقفها ودفاعها عن حقوق المرأة.

نشأتها

نوال السعداوي ولدت في 27 أكتوبر عام 1931م، لعائله تقليدية ومحافظة بقرية كفر طحلة، إحدى قرى مركز بنها التابع لمحافظة القليوبية شمال مصر. كانت الطفلة الثانية من بين تسعة أطفال. أصر والدها على تعليم جميع أولاده. وقد كان والدها مسؤول حكومي في وزارة التربية والتعليم.[1]

CC BY

تخرجت نوال من كلية الطب، جامعة القاهرة في ديسمبر عام 1955م، وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة، وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية، وعملت كطبيبة امتياز بالقصر العيني.

انتمائحا لجماعة الإخوان

لكن خلال فترة دراستها الجامعية في كلية الطب، انضمت لجماعة الإخوان المسلمين وارتدت الحجاب، وكان لها نشاط بين الطالبات في الكلية، يقول الدكتور محمود جامع في كتابه (وعرفت الإخوان): "وكان معنا في نفس الدفعة نفسه: الدكتورة نوال السعداوي، التي نجحنا في ضمها للإخوان، وتحجبت في ملبسها، وغطت شعرها، وكانت ملابسها على الطريقة الشرعية!، ونجحت في أن تنشئ قسمًا للأخوات المسلمات من طالبات الكلية، كما أنشأت مسجدًا لهن في الكلية، وكانت تؤمهن في الصلاة, وكنت أنا ضابط اتصال بينها وبين الإخوان.

وأقنعت هي كثيرا من زميلاتها بالانضمام للأخوات المسلمات، تحضهن على الصلاة، والتمسك بالزى الإسلامي في وقت كان الحجاب بين النساء نادرًا, وكانت تخطب في المناسبات الإسلامية وفي حفلات الكلية باستمرار, وكان والدها يرحمه الله من علماء كلية دار العلوم, هو الشيخ سيد السعداوي, ولكن للأسف انقلب حالها وتغيرت أمورها إلى ما وصلت إليه الآن, واتهمت بالإلحاد والإباحية".

بعد ذلك أسست جمعية تضامن المرأة العربية عام 1982م، كما ساعدت في تأسيس المؤسسة العربية لحقوق الإنسان، منحت ثلاث درجات فخرية من ثلاث قارات . ففي عام 2004م حصلت على جائزة الشمال والجنوب من مجلس أوروبا.

وفي عام 2005م فازت بجائزة إينانا الدولية من بلجيكا. وفي عام 2012م فازت بجائزة شون ماكبرايد للسلام من المكتب الدولي للسلام في سويسرا.[2]

شغلت نوال السعداوي العديد من المناصب، مثل: منصب المدير العام لإدارة التثقيف الصحي في وزارة الصحة في القاهرة، الأمين العام لنقابة الأطباء بالقاهرة، غير عملها كطبيبة في المستشفى الجامعي. كما نالت عضوية المجلس الأعلى للفنون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة. وأسست جمعية التربية الصحية وجميعة للكاتبات المصريات. وعملت فترة كرئيس تحرير مجلة الصحة بالقاهرة، ومحرره في مجلة الجمعية الطبية.

زواجها:

تزوجت د. نوال ثلاث مرات وطلقت، الزوج الأول هو الدكتور أحمد حلمي زميل دراستها لكنها طلقت منه، ثم تزوجت من رجل قانون، ولم يستمر هذا الزواج طويلا. أما الزوج الثالث فهو الدكتور "شريف حتاتة" قائد التنظيم الشيوعي الماركسي في مصر، وهو والد ابنها، وقد عاشت معه 43 عاما، كانت تقول عنه: "هذا هو الرجل "النسوي" الوحيد على وجه الأرض. ثم بعد ذلك اضطررت للطلاق منه هو الآخر، بعد أن اكتشفت أنه كان على

علاقة بامرأة أخرى، وتعلق على ذلك قائلة: "تعقيد الشخصية ذات الطابع الأبوي. ألف كتباً عن المساواة بين الجنسين ثم خان زوجته. أنا متأكدة أن 95% من الرجال هكذا".

سجنها:

في عام 1981 ساهمت نوال في تأسيس مجلة نسوية تسمى المواجهة. حكم عليها بالسجن 6 سبتمبر 1981م في عهد الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات، ثم أطلق سراحها في العام نفسه بعد شهر واحد من اغتيال السادات. وسجنت في سجن النساء بالقناطر. وعند خروجها قامت بكتابة كتابها الشهير "مذكرات في سجن النساء" عام 1983م.[3]

مؤلفاتها:

اول أعمالها عبارة عن قصص قصيرة بعنوان: "تعلمت الحب" في عام 1957م، وأول رواياتها "مذكرات طبيبة" عام 1958م. ويعتبر كتاب " مذكرات في سجن النساء " (1986) من أشهر أعمالها .

صدر لها أربعون كتابا، أعيد نشرها وترجمة كتاباتها لأكثر من 20 لغة، وتدور الفكرة الأساسية لكتابات نوال السعداوي حول ما يسمى بـ" تحرير المرأة من الهيمنة الذكورية".

في عام 1972م، نشرت أول أعمالها غير القصصية بعنوان: "المرأة والجنس" مثيرة بذلك عداء السلطات السياسية والدينية. هذا الكتاب كان من أسباب فصلها من وزارة الصحة، ومن أعمالها أيضا:

الوجة العاري للمرأة العربية.

قضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية.

توأم السلطة والجنس.

رحلاتي في العالم.

المرأة والدين والأخلاق تأليف نوال السعداوي، واشتركت في تأليفه د.هبة رؤوف عزت (مناظرة حول قضايا المرأة)2000م.

دراسات عن الرجل والمرأة .

الأنثى هي الأصل.

الرجل والجنس.

المرأة والصراع النفسى .

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، وهذا الكتاب الأخير تم منعه من النشر في مصر[4].

تطاولها على الذات الإلهية

ترى السعداوي أن المشكلة في الإله، كونه الإله الذكر الواحد أصل الوجود؛ لأن الإلهة الأنثى هي الأصل!، لذا فهي تحتفي بالعقائد الفرعونية؛ لأنها كان بها آلهة إناث، و"كانت لهن مكانة عالية، تعلو أحيانا على الآلهة الذكور"، فالمشكلة الحقيقية بين د. نوال السعداوي والله . سبحانه . أنه ذكر!!! في حين أنها تريد الله . عز وجل . الأنثى؟؟ لذلك فإنها تجد ضالتها في الأساطير الفرعونية وكتب التاريخ الفرعوني:

- تقول السعداوي: "وهناك من يحاولون تجاهل الحضارات القديمة في بحوثهم العلمية؛ من أجل إثبات أن الإله الذكر الواحد هو أصل الوجود، وليس الإلهة الأنثى، الأم القديمة، أو الأمهات الإلهات، ويثبت التاريخ المصري القديم أن تعدد الإلهات الإناث والآلهة الذكور كان هو السائد، وأن الإلهات كانت لهن مكانة عالية، تعلو أحيانًا على الآلهة الذكور، مثال: إلهة العدل (معات)، وإلهة الطب والصحة والموت (سخمت)، والإلهة "إيزيس" إلهة الحكمة والمعرفة.

وفي هذا المجال يمكن أن يجتهد الباحثون والباحثات، وهناك من يقول: إن (إيزيس) وليس (أوزوريس) هي الأولى في التاريخ التي قامت فلسفتها على التوحيد، مثل: أمهات (نون) إلهة السماء، وجدتها الكبرى (نون)، التي كانت إلهة الكون الموحد دون انفصال السماء عن الأرض، ولقد بدأت الديانات الانفصالية في التاريخ بانفصال السماء عن الأرض، وكانتا وحدة واحدة بقيادة واحدة هي الإلهة الأم الكبرى (نون). وقد ساعدت هذه الوحدانية على ازدهار الكون، ونمو الخير وتوزيعه على الناس بالعدل دون أسياد وعبيد، إلا أن نشوء العبودية أدى إلى ظهور فلسفة جديدة تقوم على الانقسام والتفرقة (فرق تسد).

إن هذه الفترة من التاريخ القديم بحاجة إلى دراسات متعمقة بعيدة عن التنافس السياسي والحزبي الذي يقسّم الناس إلى فرق تتنازع الحكم فوق الأرض وفي السماء أيضًا.

إن النبي موسى . عليه السلام . (الذي نُسبت إليه التوراة) قد قرأ فلسفة إخناتون ونفرتيتي، وتأثر بهما ونقل عنهما، وهو أمر طبيعي؛ لأن كل نبي أو زعيم سياسي لا يبدأ من فراغ أو من الصفر، ولكنه يبني أفكاره على أفكار من سبقوه ويزيد عليها، أو يطوّرها إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، بحسب المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب في ذلك الوقت.

- ولعل أكبر تحول من النظام الأمّي، إلى النظام الأبوي في التاريخ البشري هو أن الإله (أوزوريس) أصبح أول الآلهة الذكور الموحدين، الذي ولد نفسه بنفسه، ولم تلده أمه، وهي الإلهة (نوت)"، وكانت إلهة السماء وزوجها (جب) إله الأرض بعد انفصال السماء عن الأرض...".

وتعلق الدكتورة هبة رؤوف عزت على موقف السعداوي قائلة: "أنا لا أدري كيف تجهل د. نوال السعداوي رغم سنوات العمر الطويلة هذه، أن الله في الإسلام {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}(سورة الشورى) وأنه ليس ذكرًا ولا أنثى، وأن هذا هو جوهر التوحيد في الإسلام، والذي يميزه عن أي عقيدة أخرى، يميزه عن تجسد الإله في المسيح الذكر في

التراث المسيحي، ويميزه عن الإله في التصور اليهودي، ويميزه عن الإله بالمرة في بعض مذاهب البوذية، وكذا غياب اليوم الآخر.

وفي كتب مقارنة الأديان كلام طويل حول اختلاف تصورات الإله في الأديان والملل المختلفة، لكن آثار الماركسية من إنكار الألوهية، ونزعة التمركز حول الأنثى التي تمثل د. نوال السعداوي نموذجًا مثاليًا لها تحجب كل هذا عن عقل د. نوال السعداوي؛ لأن الدين ليس فقط منفي من عقلها كمصدر للمعرفة، بل كموضوع لمجرد المعرفة".[5]

نوال السعداوي والتمركز حول الأنثى:

تنطلق نوال السعداوي في تفكيرها من فكرة المرأة الفرد، لا من فكرة الإنسان في إطار جماعة اجتماعية، بينها ترابطات من الحقوق والواجبات المتبادلة، وهي تصوغ حقوق المرأة بشكل بالغ التطرف، ومثير للسخرية ومسلمات أسطورية مفزعة، وصار الأمر عندها محاربة كل المحاربة لأنصار الأبوية الذكورية المستبدة المعادية... إلخ.

وهي تريد الاستغناء النسوي عن الرجال جنسًا واجتماعًا وإنجابًا، وهي تريد أن نحمل نسب أمهاتنا لا آبائنا "مساواة!"، وتطالب بجمع المرأة بين زوجين؟ وترفض الحجاب وتعلن أن الأسرة غير مقدسة، وأن المرأة لن تعود بعد أن تحررت بالاستقلال الاقتصادي "لحيرة" الأمومة والدين والأخلاق ولا لحظيرة البيت، فهي تعتبر أن المرأة في بيت زوجها أسيرة، وفي بيت أبيها عالة.. والأسرة مؤسسة قهر... إلخ.

تقول نوال: "أحلم بعالم آخر لا يشطب فيه أحد على أسماء الأمهات، ولا أحد يسألني من أبوك؟ وما دينك؟ وما جنسك؟ أو جنسيتك؟".

- وتقول عن الحجاب:

> "تغيّر شكل الحجاب ونوعه بحسب تطور المجتمعات، قد يكون حجابًا ماديًا بالكامل، يخفي جسد المرأة وعقلها وروحها وشخصيتها كما يحدث في بعض البلاد حتى اليوم، تحت اسم الدين أو الاخلاق، وقد يكون حجابًا من نوع آخر لا تراه العين، تفرضه التربية في البيوت والمدارس والأحزاب السياسية التي يسيطر عليها الفكر السائد الذي يميز الرجال عن النساء".[6]

وترفض حق الرجل في الولاية قائلة: إن القانون في بلادنا لا يعطي المرأة إلا حق الوصاية فقط، أما الولاية فهي حق الرجل فقط، لم أعرف هذا إلا بعد موت أبي، حين بدأت أقرأ في القانون والدين لأعرف لماذا حُرِمت من الولاية على أخواتي القاصرات؛ لكوني امرأة على الرغم من أني كنت طبيبة في ذلك الوقت يضع الناس أرواحهم في يدي، وقادني البحث إلى قانون الاحتباس، وقوامة الرجل أو سيادته على المرأة، وهذه هي المدرسة الشائعة في الدين الإسلامي، والتي لا تأخذ من النصوص الدينية إلا ما يؤكد التفرقة بين البشر على أساس الجنس أو العقيدة أو العرق. هذه المدرسة ترى أن حق الولاية لا يجوز أن يُعطى للمرأة أو للرجل غير المسلم، لقد سادت هذه الأفكار في القرون السابقة، في القرن التاسع والثامن، من أجل تأكيد التفرقة بين الناس، وسلب النساء حقوقهم الإنسانية، وكذلك سلب الرجال غير المسلمين حقوقهم أيضًا.

هذه الأفكار التي تمنع ولاية المرأة أو ولاية الرجل غير المسلم كان نتاج ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة عن الظروف التي نعيشها اليوم..".

- وتقول: "إن الدين جزء من المجتمع، وهو نتاج من نتاجات المجتمع البشري فكرًا وممارسة، وهو نتيجة لتفاعل عوامل اجتماعية وسياسية دولية ومحلية، وله أثر على العقل الواعي واللاواعي للفرد والجماعة، لكنه ليس السبب التاريخي الأول الذي جعل المرأة أقل قيمة من الرجل، لقد انعكست دونية المرأة في النظام العبودي على الأديان وليس العكس"[7]

وصرحت السعداوي لمجلة فرنسية تصريحا أساء للمرأة المسلمة.. إذ قالت: "إن المرأة المحجبة والتي تغطي رأسها متخلفة، وإن عقلها مغلق". وأضافت: "أنا عاوزه أتجوز أربعة رجاله ولا أدرى لماذا لا أتزوج أربعة"؟!. مهاجمة التعدد للرجل؛ قائلة:" كيف ينتقل الرجل من فراش امرأة إلى فراش امرأة أخرى، والله لو ذهب زوجي لامرأة أخرى لطردته من البيت".[8]

وقالت: "هل يرضى أن تنتقل امرأته بين فرش الرجال هو أيضا سيطردها, تونس منعت التعدد وغيرها من الدول الإسلامية هل نكفر هذه الدول"؟![9]

وبررت السعداوي في حديثها في أحد ندواتها الثقافية، أسباب هجومها على الحجاب، قائلة: "الملابس لا تعبر عن أخلاقي، فالرجال والنساء في إفريقيا عرايا، ولا أحد يسألهم عن السبب، فالجو هناك حار وحينما يصبح الناس جميعًا عرايا، فلا عيب في ذلك" وفقا لموقع "المصريون".

وتساءلت السعداوي: لماذا المرأة تغطى والرجل لا يغطى؟، لماذا أنا ضد الحجاب؟، مضيفة: "لأنه ضد الأخلاق، لأني لو أنا أردت أن أظهر بمظهر الشريفة، اشتري حجاب بخمسين قرشا أو بخمسين جنيها، واشتري الجنة بهذا المبلغ، وأنا أريد أن أدخل الجنة بأخلاقي وسلوكي، وليس بقماش على رأسي"[10]

مجمل أراء السعداوي

وتلخص الدكتورة هبة رؤوف عزت، مجمل أراء السعداوي قائلة: "د. نوال السعداوي عداءها للدين واضح، وهي لا تُخفيه بل يظهر جليًا في نصها، وهو عداء يقوم على الأسس التالية كما أوردتها في صفحات النص المختلفة:

1 - إن الدين صناعة إنسانية، ومنتج تاريخي، وهي رؤية علم الاجتماع الغربي بمدارسه الكلاسيكية واليسارية على حد سواء، لذا نجدها تتحدث عن أن الأديان نشأت في عصور قديمة يحكمها النظام العبودي، وهي تتبنى التقسيم الماركسي للتاريخ لمراحل تصاعدية، والدين ينتمي للماضي وليس للحاضر أو المستقبل وهو بالضرورة أداة قهر.

2 - إن أي محاولة للحديث عن الدين بشكل إيجابي، يجب أن تحول الدين إلى منحى (ذاتي/إنساني/جواني)، فجدتها كان تقول: "إن الله عرفوه بالعقل" (فلا حاجة للوحي البتة إذن)، ووالدها يقول: أنا أعرف الله في أعماقي وهو العدل، الله يخرج من أعماقنا وليس من المطبعة، أو من فوق المآذن والجوامع، وهي أقوال كلة حين تستشهد

بها الكاتبة أن هذه أول خطوة لفصل الدين عن الحياة، وأن هذا هو عين سبب فقدان الدين لآفاقه التحررية كمصدر للعدل الاجتماعي وليس العكس.

3 - إن الدين يجب أن يخضع للهوى، فيتغير بتغير الظروف، لا بالتجديد والاجتهاد وضبط التوازن بين المطلق (الوحي) والنسبي(الواقع) بل بإخضاع المطلق للنسبي، الوحي للمادة، وإلا كان الدين ظلاميًا رجعيًا وأداة للظلم والقهر، فهي تقول: "الأخلاق والأديان والقيم كلها تتغير مع تغير القوى المسيطرة سياسيًا على وسائل التعليم والإعلام والتفسير للكتب الدينية، والدين جزء من المجتمع، وهو نتاج من نتاجات المجتمع البشري فكرًا وممارسة"، وكأنه لا ثوابت ولا قيم ثابتة بل أديان صناعة محلية وحسب!!.

4 - إن الدين هو خادم السياسة يتم فقط توظيفه [11] وهو حليف الرأسمالية البغيضة المستغلة وأداة لاستغلالها، والاقتصاد هو الذي يحدد مسار التاريخ وليس الدين، أو حتى الثقافة وببساطة يلتقي الشرق والغرب، والإسلام والمسيحية واليهودية في إصدار القوانين والقيم الأخلاقية والسياسية التي تجعل مفهوم الحرية أو الديمقراطية أو حقوق الإنسان قاصرة على الرجل وعلاقتهم بالدولة والحكم.

5 - إن رجال الدين خضعوا للسلطة السياسية والاقتصادية على مرّ العصور، وإن عليهم أن يعتذروا عن الجرائم التي اقترفوها في حق الناس والنساء كما اعتذرت الكنيسة الكاثوليكية.

6 - إن هناك تحالفًا بين الأديان الآن ضد المرأة في المؤتمرات الدولية، والدين حليف الرجعية، ويجب فصله عن حياة النساء ليتحقق التقدم"[12]

المراجع والحواشى

[1] .www.NawallEI Sadaawi.net (retrieved on 17 March 2020 at 12:10pm)

[2] Ibid

[3] https://www.abjjad.com/author/6805833/%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%84-%D8%A7% D9%84% D8%B3% D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%88%D9%8A/books (retrieved on 17 March 2020 at 12:10pm)

[4] https://www.hindawi.org/contributors/84163053 /(retrieved on 17 March 2020 at 12:10pm)

[5] حسين العفاني، سيد،أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري، جدة، ص 444

[6] أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري، جدة، ص 448

[7] المرجع السابق، ص450

[8] نوال السعداوي، دكتورة.. هبة رؤوف عزت، دكتورة ، المرأة والدين والأخلاق، دار الفكر،دمشق، ص 147

[9] سقوط نوال السعداوى!!، فوزية الخليوي، موقع صيد الفوائد

[10] نوال السعداوي: أنا ضد الحجاب لأنه ضد الأخلاق، صحيفة القدس العربي ، 4-3-2015م.

[11] "المرأة والدين والأخلاق"،ص 46

[12] المرأة والدين والأخلاق،ص 58